حكومة حسين باشا أفراسياب في البصرة والقوى الأوروبية في الخليج العربي

دراسة في العلاقات السياسية والتجارية ١٦٥٠-١٦٦٨

طارق نافع الحمداني

كلية التربية - جامعة بغداد

(الملخص)

امتازت حكومة حسين باشا أفراسياب التي قامت في البصرة في الربع الثالث من القرن السابع عشر، بانفتاحها على القوى الأوروبية في الخليج العربي، ومحاولتها إقامة علاقات سياسية وتجارية معها. وكان من أبرز تلك القوى التي دخلت معها تلك الحكومة بعلاقات سياسية وتجارية الانجليز والهولنديون.وحاولت أن تجد بينهما حالة من الموازنة، وذلك بمقدار مايتعلق الأمر بمصالحها السياسية والتجارية في البصرة.

كانت هذه الصورة العامة لسياسة حكومة حسين باشا أفراسياب مع القوى الأوروبية، ولكنها من ناحية عملية أدخلت تحويرات وتبدلات في تلك السياسة، وذلك تبعا للظروف الداخلية والخارجية التي مرت بها من وقت لآخر. فقد اتسمت سياستها في بادىء الأمر بالتساهل مع القوى الأوروبية في الخليج، ومع التجار الأجانب الموجودين في البصرة، وذلك على أمل تشجيع النشاط التجاري في المدينة،والحصول على مزيد من الرسوم والعائدات المتأتية عن ذلك. في حين اختلفت هذه السياسة كثيراً بعد الحملة العثمانية الأولى على البصرة عام ١٦٥٣، والتي استهدفت القضاء على حكومة حسين باشا، إذ بدأت هذه الحكومة بفرض الرسوم والضرائب الكثيرة لاعلى سكان البصرة فحسب وإنما على التجار الأجانب الموجودين فيها، وقد انعكس تأثير ذلك على مجمل التجارتين الخارجية والداخلية في المدينة. وعلى هذا الأساس نجد بأن نشاطات شركة الهند الشرقية الانجليزية

مع البصرة قد قلت، خصوصا بعد سيطرة حكومة حسين باشا على ممتلكاتها هناك. ومع أن هذه الشركة قد حاولت اعادة نشاطاتها في البصرة، إلا أن تبدل وتغير سياسة حسين باشا المستمر قد حال دون قيام ذلك.

تمهيـــــــــد:

لا تختلف حكومة حسين باشا أفراسياب في البصرة في الربع الثالث من القرن السابع عشر كثيرا عن حكومة والده علي باشا أفراسياب في الربع الثاني من القرن نفسه من حيث انفتاحها على القوى الأوروبية في الخليج العربي، وإقامتها علاقات سياسية وتجارية معها. غير أن هذه الحكومة دخلت في حروب مستمرة مع الأتراك حول حكم ولاية البصرة دامت أكثر من عشرين عاما، تركت آثارها على مجمل الأوضاع السياسية والاقتصادية في المنطقة، مما جعل حاكمها حسين باشا أفراسياب يتخذ سياسة مغايرة لسياسة والده علي باشا. كما أن الحروب الناشبة بين القوى الأوروبية نفسها بخاصة الانكليز والهولنديين، وان دارت رحاها في أوروبا فإنها كانت ذات تأثيرات وانعكاسات شملت منطقة الخليج العربي. وفي ضوء هذه التغيرات والتطورات قامت العلاقات السياسية والتجارية بين الطرفين

قام جل اعتمادنا في دراسة هذه العلاقات على تقارير ممثلي شركة الهند الشرقية في البصرة وفارس وسورات The English Factories in India باجزائها الثلاثة عشر، وعلى ما كتبه الآباء الكرمليون في فارس A Chronick of the carmelities in persia وعلى مختارات سلدانا Saldanna الوثائقية Selections from the State papers والتي كانت موضع اعتماد لوريمر Lorimer في كتابه Gazetteer الذي تمت ترجمته في قطر بعنوان «دليل الخليج، القسم التاريخي، بسبعة أجزاء» وعلى كتب الرحالة الأوروبيين الذين زاروا البصرة والخليج في الفترة موضع البحث أمثال تافرنييه Tavernier [١٦٥٢]، وفنشنسو[١٦٥٦]. وثيفنوت Thevenot [١٦٦٤ — ١٦٦٥]. ومن المعروف ان هذه الوثائق والكتب هي التي أولت اهتماما خاصا بمثل هذه العلاقات السياسية والتجارية، مما لانجده في المصادر العربية المعاصرة ككتاب

فتح الله الكعبي الموسوم «زاد المسافر وهفة المقيم والحاضر فيما جرى لحسين باشا ابن أفراسياب حاكم البصرة» وكتاب أحمد بن عبد الله الغرابي البغدادي (١) المعروف «بعيون أخبار الأعيان ممن مضى في سالف العصور والأزمان»، فقد كان الأول منهما يتضمن عرضا أدبيا وتاريخيا لأسرة آل أفراسياب في البصرة، في حين ان الثاني جاء سرداً تاريخياً عاما لأحداث العراق في القرن السابع عشر.

وعلى أية حال، فان ما نصبو إليه في هذا البحث هو إعطاء صورة جديدة لفترة غامضة من تاريخ البصرة والخليج العربي في الربع الثالث من القرن السابع عشر، بجانبيها السياسي والتجاري.

١ ــ علاقات حسين باشا أفراسياب السياسية مع القوى الأوروبية في الخليج العربي:

كانت لحسين باشا أفراسياب سياسة واضحة المعالم في المجالين السياسي والتجاري في فترة حكمه [١٦٥٠ ــ ١٦٦٨]. وهدفه من سياسته تلك تعزيز استقلاله السياسي عن الدولة العثمانية، وتوفير أكثر العوامل الممكنة لضمان نجاح مخططاته الأخرى التي تتضمن إقامة علاقات سياسية وتجارية حرة مع القوى الأوروبية في الخليج العربي. إلا أن حسين باشا لم يوفق إلى حد ما في تحقيق الكثير من تلك الأهداف، ذلك لان سياسته الاستقلالية قد اصطدمت بطموحات العثمانيين الرامية لاستعادة البصرة إلى حكمهم المباشر، في حين ان علاقاته مع القوى الأوروبية لم تسر على وتيرة واحدة، بل إنها مرت بتقلبات كثيرة، مما أدى إلى ضعفها واختلالها في النهاية.

وبغض النظر عن علاقة حسين باشا أفراسياب مع الباب العالى التي هي خارجه عن موضوع البحث الذي نحن بصدده، فان علاقاته مع القوى الأوروبية في الخليج العربي قد اتسمت بالتساهل مع هذه القوى ومع التجار الأجانب والأقليات المسيحية، على أمل تشجيع النشاط التجاري في البصرة والحصول على مزيد من الرسوم والعائدات من ذلك.

وإذا ما استعرضنا تلك العلاقات، كما أوردتها المصادر المعاصرة نجد المزيد من الأدلة التاريخية عنها. فمنذ أن تولى حسين باشا حكومة البصرة في عام ١٦٥٠ «أظهر استعداده للتساهل مع الانكليز كما كان والده الباشا من قبله، وقد وجد منه الهولنديون نفس المعاملة عند وصولهم البصرة، طالما انهم كالانكليز كانوا يحصلون على احترام الباب العالى» (٢) وقد لفتت هذه الظاهرة انتباه الرحالة الفرنسي تافرنييه Tavernier الذي زار البصرة عام ١٦٥٢ فقال عنها:

«وصار للأمير (حسين باشا) علاقات بأمم أجنبية مختلفة، فأنّى توجهت لقيت ترحيبا. و يعم المدينة الطمأنينة والنظام، حتى ليمكنك أن تسرى طول الليل في شوارعها دون أن يعترض سبيلك أحد. ويجلب الهولنديون إلى البصرة التوابل كل سنة. ويحمل إليها الانكليز الفلفل وشيئا من القرنفل..» (تافرنييه: ٩٧ ــ ٩٨).

وفي هذه الفترة بالذات [١٦٥٣ ــ ١٦٥٤] وقعت الحرب الأولى بين الانكليز والهولنديين. ومع أن أوروبا كانت مسرحا لها، إلا انها لم تمض دون أن تترك بصماتها على الخليج العربي. ذلك لأن هزيمة الانكليز في هذه الحرب جعلهم في موقف محرج، كما عانت وكالاتهم التجارية في البصرة وفارس الموقف نفسه، لأنها أصبحت عرضة للتهديد الهولندي في المنطقة (٣).ولعل من أهم ما تجب ملاحظته في هذا المجال هو علاقة وموقف حسين باشامن الانكليز والهولنديين في هذه الفترة التي نحن بصددها. فقد حاول هذا الحاكم الموازنة بين هاتين القوتين رغم الضغوط التي وجهها الهولنديون له. فقد أشارت التقارير التي رفعها ممثلو شركة الهند الشرقية في أصفهان إلى رئاسة مجلس الشركة في سورات Surat في السابع والعشرين من أيلول عام ١٦٥٣ إلى «أن الهولنديين لم يقتنعوا بالمكان الذي يشغلونه لبيع تجارتهم في البصرة، بل إنهم يرغبون بالحصول على المقر التجاري لشركة الهند الشرقية هناك، وعكس ذلك فانهم سوف لن يقدموا إلى هذا المكان في هذه السنة. لكن حسين باشا رفض هذا التهديد، فاضطر الهولنديون إلى استئجار مقرهم السابق» (٤).

وهنا علينا أن نذكر أمرين هامين يمكننا من تكوين صورة واضحة عن سياسة حسين باشا في الفترة التالية. هذان الأمران هما تفسير منهج سياسة حسين

باشا بعد الحملة العثمانية الأولى ضد البصرة عام ١٦٥٣، واتباعه سياسة تعسفية جعلته عرضة للمشكلات والمصاعب الداخلية والخارجية. ولعل خير من يحدثنا عن ذلك الرّحالة الإيطالي فنشنسو الذي وصل البصرة عام ١٦٥٦ قائلا: «ما ان عاد الأمير (حسين باشا) إلى الحكم حتى ركبه عفريت الطمع... فأخذ يتذرع بمختلف الوسائل والحيل من أجل انتزاع الأموال، ووضع ضرائب جديدة مختلفة، وقاده طمعه هذا إلى القيام بأمور لا تليق بمنزلته..» (٥) أما الأمر الثاني فهو انعكاس هذه السياسة التعسفية على علاقاته مع القوى الأوروبية في الخليج، بخاصة الانكليز، وعلى قلة وصول التجار إلى البصرة لشراء البضائع الواردة اليها (٦). و يكفي أن نشير هنا إلى تردد الإشاعات بسيطرة حسين باشا على قسم من مبنى الوكالة الانجليزية في البصرة ونيته في الاستحواذ على القسم الباقي منها. وعلى هذا الأساس قررت الشركة في ٢٦ شباط ١٦٥٦ إرسال توماس رينردسون Thomas Reynordson إلى البصرة لمقابلة حسين باشا حول هذا الأمر (٧) غير أن رينردسون سرعان ما عدل عن رأيه في الذهاب إلى البصرة بناء على أوامر تلقاها من الشركة (٨).

بعد ذلك في أواخر سنة ١٦٥٦، استولى حسين باشا على مؤسسات الشركة وممتلكاتها في البصرة (٩) بسبب الشائعات التي روجتها شركة التجار المغامرين Merchant Adventurers، وهي إحدى الشركات الانكليزية المنافسة لشركة الهند الشرقية، عن قرب تصفية أعمال الشركة الأخيرة (لوريمر: ١٧٧) وقد أدت هذه الحادثة إلى تدهور العلاقة بين الشركة وحسين باشا، كما تلتها فترة طويلة من المراسلات والاتصالات بين الطرفين حول ممتلكات الشركة ومصيرها في البصرة. من ذلك قيام الشركة بإرسال وليم بيل William Bell إلى حسين باشا حول هذا الأمر، إلا أن هذا المبعوث لم يوفق في مهمته بشأن مصير مقر الشركة، لا من حيث إعادته إليها، أو إعادة الأموال المدفوعة عنه (١٠). وقد نقل مبعوث الشركة فشل مهمته في رسالة مؤرخة في ١٦ تشرين الأول عام ١٦٥٧، مشيرا فيها إلى إصرار حسين باشا على رأيه حول هذه المسألة، وعدم قيامه بغير ذلك ما لم تقم الشركة بتحقيق بعض الالتزامات التجارية التي بذمتها (١١) و يظهر بأن سبب موقف حسين باشا من

الشركة يعود إلى تضاؤل نشاطاتها التجارية مع البصرة، وقلة العائدات في هذا المجال، وهو أمر كان يحسب له الباشا ألف حساب.

ومن الملاحظ أيضا في هذا المجال، اننا نجد في الرسالة السابقة إشارات تدل على اتصالات أخرى قام بها مبعوث الشركة مع الشاه بندر «أو مسؤول الميناء» في البصرة. وكان جواب الأخير مماثلا لجواب حسين باشا، إذ أكد أن مقر الشركة هو ملكية الباشا، رغم شراء الشركة له، وأنه ليس بالإمكان إعادة الأموال للشركة ما لم يحضر الشخص الأصلي الذي سجل باسمه العقار، وهو روبرت كرانمر Robert Cranmer(12) وبهذه النتيجة رجع بيل وهو يجر أذيال الخيبة والفشل في وفادته إلى حسين باشا أفراسياب.

استمرت علاقات الشركة مع حكومة البصرة على ما كانت عليه حتي عام ١٦٦١ حيث عاودت اتصالاتها مع حاكمها حسين باشا.. ففي نيسان من العام المذكور أوفدت الشركة السيدان جورج كرانمر وروبرت سانتهيل Robert Sainthill إلى البصرة على ظهر الفرقاطه «أميرتا Amerita» وحددت لهما التعليمات بأن يذّكرا الباشا بالوعد الذي قطعه على نفسه في السنة السابقة بأن يقدم للشركة مقرا أفضل من الذي استولى عليه (١٣)، وعند وصولهما البصرة وجدا ذلك المقر مشيدا. (١٤)

إلى جانب ذلك فقد تحسنت العلاقات بين حسين باشا والشركة نوعا ما في السنوات التالية. ففي ١٢ ايلول من عام ١٦٦٢ وعندما وصل رسول حسين باشا إلى دلهى لتهنئة الامبراطور هناك بمناسبة اعتلائه العرش، استغلت شركة الهند الشرقية المناسبة فاستدعته لزيارة مقر الشركة في سورات (١٥)، إلا أن هذا التحسن، كما وصفته تقارير الشركة نفسها «لم يكن يتعدى العبارات الجميلة» (١٦).

٢ ــ العلاقات التجارية بين حكومة البصرة والقوى الأوروبية في الخليج العربي:

أشرنا عند بحثنا لعلاقات حسين باشا السياسية مع القوى الأوروبية إلى أن هذا الحاكم حاول أن يدعم استقلاله الحقيقي في ولاية البصرة، ولهذا لم يكن

للعثمانيين أى تأثير فعلي عليه. ولذلك فقد توجهت أنظار الاوروبيين الانكليز والهولنديين رغم حصولهم على الامتيازات التجارية في الدولة العثمانية إليه للحصول على امتيازات مماثلة منه تضمن مصالحها التجارية هناك. ووفقا لهذا المبدأ قامت العلاقات التجارية بين حكومة حسين باشا أفراسياب في البصرة والقوى الاوروبية في الخليج العربي.

ومع أن علاقات الانكليز والهولنديين التجارية مع البصرة ترجع إلى فترة أسبق (١٧) من الفترة التي حكم فيها حسين باشا (١٦٥٠ ــ ١٦٦٨)، إلا أن هذه العلاقات قد مرت بمرحلة جديدة بفعل التغيرات الكثيرة التي شهدها حكم حسين باشا وطبيعة العلاقات بين الدول الأوروبية نفسها. فالصراع والمنافسة التجارية بين الانكليز والهولنديين قد بلغت ذروتها في الربع الثالث من القرن السابع عشر، وكان على حاكم البصرة الموازنة بين هاتين القوتين ضمانا لاستمرار نشاطهما التجاري هناك.

في مطلع النصف الثاني من القرن السابع عشر، ازدادت الاستثمارات التجارية الانكليزية في البصرة، رغم المنافسة الهولندية، ونتيجة لذلك فقد بعثت الشركة سفينتها المسماة بـ «Sea Horse» إلى المدينة، كما طلبت من وكلائها في البصرة بالبقاء هناك طالما أن في نية الهولنديين إرسال سفينتين إلى ذلك الميناء وإقامة وكالة فيه عام ١٦٥١ (١٨). و يرجع ذلك النشاط إلى عدة عوامل وإجراءات، ومن أهمها اهتمام حسين باشا بتلك التجارة، وإعطاء الانكليز والهولنديين أفضلية للمتاجرة مع البصرة (١٩).

غير أننا نلاحظ أن النشاطات التجارية لشركة الهند الشرقية مع البصرة بدأت تتضاءل خلال سنتي ١٦٥١ ــ ١٦٥٢، وهناك أسباب عديدة لذلك يأتي على رأسها المنافسة الهولندية للتجارة الانكليزية في الخليج العربي واستخدام الهولنديين لأساليب وممارسات تجارية جديدة لم تكن مستخدمة من قبل الانكليز، بل وكانت مثار إعجابهم، من أهمها البيع بأسعار منخفضة أو استخدام الخصم عند بيع كمية معينة من السلع والبضائع، أو قبول عملات مختلفة. (٢٠)

إضافة إلى المنافسة مع الهولنديين فإن شقة الخلاف بين انكلترا وهولندا حول السيادة على البحار بدأت تتوسع شيئا فشيئا منذ عام ١٦٥٢ حيث وقعت فيها الحرب الأولى بين هاتين القوتين المتصارعتين ولمدة عامين. (٢١) وفي خلالها كانت السفن الانكليزية والهولندية في البحار الشرقية وفي الخليج العربي عرضة للمخاطر، وقد قاست السفن الانكليزية بالذات الأمرّين، كما عانت تجارتها من التوقف التام في بعض المناطق. وكانت النتيجة المباشرة الأولى لتلك الأحداث أن اختلت الحركة التجارية في البصرة والخليج العربي بسبب عدم توارد السفن التجارية إليهما بانتظام، واضطراب حركة التبادل التجاري كلما شعر أحد الطرفين، الانكليز أو الهولنديين، بان سفنه في خطر من الجانب الآخر، وهذا مايدفعه إلى بيع بضائعه بأسعار منخفضة أو التوجه بها إلى مكان آخر. (٢٢) أما النتيجة الثانية فهي نجاح الهولنديين في احتكار التجارة الهندية مع البصرة، لذرجة أنهم عملوا عام ١٦٥٣ على عدم وصول أية سفينة انكليزية أو برتغالية إلى البصرة، ولم تصلها غير سفنهم وبعض السفن العربية. (٢٣)

وبالاضافة إلى تفوق الهولنديين التجاري في السنوات التالية، فإن حجم التجارة الهولندية، وليس الانكليزية، كان كبيرا جداً مع كل من سواحل الهند وفارس والبصرة وغيرها، وعلى الأخص تجارة التوابل والملابس والشاى والقصدير والزئبق. (٢٤) وجاءت الضربة الأخرى لشركة الهند الشرقية في عام ١٦٥٧ عندما استولى حسين باشا أفراسياب، حاكم البصرة، على ممتلكاتها في المدينة، وقد رافق هذه الضربة، كما وصف ذلك بروس Bruce «توقف التجارة الانكليزية في الخليج». (٢٥) وربما يستدل على ذلك من زيارة المستر بيل Bell إلى البصرة على ظهر إحدى سفن الشركة في السنة المذكورة لكنه لم يستطع أن يعود بأكثر من حمولة قيمتها ٩٠٠ روبية (لوريمر: ١٧٧).

هذا وقد سبق لنا ان أوضحنا أسباب استيلاء حسين باشا على مقر شركة الهند الشرقية، إلا أن هناك التزامات تجارية أخرى وهي تتعلق بعدم ممارسة الشركة المتاجرة مع البصرة لسنوات عديدة، وعدم دفعها الرسوم الجمركية المتفق عليها في مثل

هذه التجارة وهي ٣٪، بحيث جعلت حسين باشا يتخذ موقفا صارما منها و يصر على موقفه بتحقيق تلك الالتزامات، وإلا فان الشركة لن تتمتع بتجارة مع هذه المدينة وقد بلغ مقدار العائدات التي طلبها حسين باشا من الشركة أكثر بكثير من ثمن ممتلكات الشركة التي كانت هي موضوع الخلاف بينهما. (٢٦)

وعلى أية حال، فقد حاولت شركة الهند الشرقية إعادة علاقاتها التجارية مع البصرة ولو بشكل بسيط وعادت سفن الشركة إلى زيارة ميناء البصرة بين فترة وأخرى. ويمثل هذا الأمر تطوراً جديداً في سياسة الشركة. فمن ناحية استمرت الشركة بعلاقاتها التجارية مع البصرة، رغم الخسائر الكبيرة التي عانتها في هذا الميناء. (٢٧) ومن ناحية أخرى، فقد قررت رئاسة الشركة في لندن اثر اجتماع لها في ١٧ تشرين الاول ١٦٦٠ إغلاق الوكالات التجارية في كل من أحمد أباد ومخا والبصرة تماماً، وتقرير مصير مؤسسات الشركة وممتلكاتها بشكل مناسب لصالحها (٢٨). وحلّا لهذا التناقض ــ بعد علم الشركة بحل وكالاتها التجارية في البصرة والمناطق الأخرى المذكورة ــ ولرغبتها في استمرار اتصالاتها التجارية مع هذه المناطق، فقد وضعت لنفسها سياسة تجارية جديدة تقوم على أساس الاكتفاء بإرسال بعض السفن الصغيرة إلى هذه الموانيء والمتاجرة معها بين آونة وأخرى. (٢٩)

ويمكننا ملاحظة مثل هذه السياسة في بعثة السيدين كرانمر وسانتهيل في نيسان ١٦٦١ إلى حاكم البصرة حسين باشا، اللذين أوفدا لمقابلة الباشا بشأن مقر الشركة الذي استولى عليه عام ١٦٥٧. وقد حملا معهما على ظهر الباخرة «أميرتا» شحنة من الأقمشة والفلفل والأخشاب والأرز وغيرها، وكانت التعليمات الصادرة اليهما تنص على استئجار مكان مناسب على نفقتهما في حالة عدم الحصول على مقر من الباشا، على أن لاتنزل البضائع إلى البرّ بل تبقى فوق ظهر السفينة تفاديا لدفع الرسوم من ناحية، وإلى أن يتحققا من أنهما سير بحان من بيعها من ناحية أخرى (٣٠). و يقال الأمر نفسه بالنسبة لرحلة كل من ريجارد بلاد و يل Richrad Bladwell ورالف لامبتون Ralph lambton وهنرى برومفيلد Henry Bromfield الذين أمروا في ١٨ آذار عام ١٦٦٢ من وكالة سورات باصطحاب شحنة من البضائع على ظهر

السفينة «سي فلور Sea Flower» إلى البصرة و بيعها هناك. (٣١) وكانت هذه الظاهرة هي السمة البارزة لسياسة شركة الهند الشرقية مع البصرة خلال السنوات التالية. (٣٢)

وفي تلك الفترة نشب الخلاف بين انكلترا وهولندا، ووقعت الحرب الثانية بينهما ١٦٦٥ ــ ١٦٦٧، وكان لهذه الحرب أثرها على الخليج العربي أيضا. لكن أثرها في الهند كان واضحا بسبب الحصار الذى فرضه الهولنديون على شركة الهند الشرقية في سورات (لوريمر: ١٨٠) كما حدث في الوقت نفسه مجيء عدد من الحملات العثمانية على البصرة بعد عام ١٦٦٥، وقد أدت أمثال تلك الأحداث إلى عرقلة واضطراب التجارة والنقل من وإلى البصرة. من ذلك استيلاء حسين باشا أفراسياب عام ١٦٦٥ على عدد من السفن التجارية المشحونة بالبضائع في مرفأ القرنة بقصد أن يسد هذا الثغر بوجه والي بغداد الذي كان قد أنفذه الباب العالي لمحاربته وإخراجه من البصرة (٣٣).

وحينما نعود إلى بحث أثر الحرب الانكليزية ــ الهولندية على البصرة والخليج العربي فليست معرفته بأكثر من معرفة أثر الحرب التي سبقتها في ١٦٥٣ ــ ١٦٥٤. فالسفن الهولندية التي أظهرت تفوقا بحريا على السفن الانكليزية جعلت الأخيرة في موضع بالغ الخطورة، وكان من بين مهمات الشركة المحافظة على سفنها في المنطقة. (٣٤) والأهم من ذلك أن الهولنديين وضعوا العراقيل أمام التجار والسفن الانكليزية من الذهاب إلى البصرة والمناطق الأخرى، وأرادوا احتكار تجارة التوابل بوجه الانكليز. (٣٥)

واستمر الموقف كذلك حتى ظهور مخاطر الحصار العثماني على البصرة في عام ١٦٦٨، الذي بدأت آثاره تبرز إلى الوجود ولكن بعد فوات الأوان. فالأوضاع العامة في البصرة أصابها التدهور، فتناقصت النشاطات التجارية فيها إلى حد كبير وغادرها عدد كبير من التجار. ورغم محاولات حسين باشا لمنع الآباء الكرمليين من مغادرة البصرة، باعتبار أن مغادرة هؤلاء يعنى عدم وجود من يستدعي السفن للقدوم إلى هذا

الميناء. (٣٦) إلا أن الأمر قد انتهى بسيطرة العثمانيين على البصرة وإعادتها إلى حكمهم المباشر.

فلا غرور والحالة هذه أن نجد تقارير شركة الهند الشرقية وكتب الرحالة الأوروبيين الذين زاروا البصرة في عام ١٦٦٩ مليئة بالأوصاف عن حالة البصرة المتدهورة، وضعف التجارة فيها عن السنوات السابقة، سواء بسبب ظروف الحرب بين العثمانيين وحسين باشا، وما نتج عنها من مغادرة الكثير من السكان لمدينة البصرة، أو بسبب السياسة السيئة التي أظهرها العثمانيون تجاه الأجانب في المدينة (٣٧).

إن المتأمل لطبيعة العلاقات السياسية والتجارية بين حكومة حسين باشا والقوى الأوروبية في الخليج العربي في الربع الثالث من القرن السابع عشر التي سبق ذكرها، يجد أنها مرت بتحولات وتبدلات كثيرة، وكان للظروف الداخلية والخارجية التي مرت بها هذه الحكومة أثرها الواضح في رسم تلك التحولات والتبدلات.

الهوامش

١) كانت وفاة الغرابي البغدادي في عام ١٦٩١ في حين أن الكعبي كان حياً في عام ١٧١٧، وكان ملازماً لآل أفراسياب في البصرة.

٢) William Foster, **The English Factories in India 1651-54** (Oxford, 1915), April,21, 1651, p. 62.

٣) J. Bruce, **Annals of the Honourable East India Co., 1600-1708** (London, 1810), Vol. 2, p. 483.

٤) Foster, **The English Factories in India 1651-54,** p. 202.

٥) رحلة فنشنسو إلى العراق في القرن السابع عشر، ترجمها عن الايطالية فعلق عليها الأب الدكتور بطرس حداد، المورد، م ٥ ع ٣ (بغداد ١٩٧٦) ص ٨٥.

٦) Foster, **The English Factories in India 1655-60** (Oxford, 1921), July 31, 1655, p. 30.

٧) Foster, **op. cit.,** p. 53.

٨) **Ibid,** July, 1656, p. 59.

٩) تشير تقارير شركة الهند الشرقية إلى أن احد ممثلي الشركة المسمى Daniel Otgher قد باع مقر الشركة وممتلكاتها إلى الباشا، إلاّ أن الأخير ندم على عملية الشراء مسترجعا أمواله، دون أن يُعيد للشركة ممتلكاتها، أنظر:

Foster, **The English Factories in India, 1655-60,** August, 1656, p. 88.

١٠) J.A. Saldanha, **Selections from the State Papers, Bombay. Regarding the East Indian Company's Connection with the Gulf** (Calcutta, 1908), p. 15.

١١) أنظر ما يلي في موضوع العلاقات التجارية.

١٢) للتفاصيل أنظر: Foster, **The English Factories in India, 1655-60** pp. 131-36.

١٣) أشارت الى هذه الزيارة بتفصيل المصادر التالية:

Saldanha, **Selections from the State Papers,** P. 17; Foster **The English Factories in India, 1661-64** (Oxford, 1923), p. 32.

لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٤، ص ١٧٧ ــ ٧١.

١٤) Foster, **op. cit.,** P. 32.

١٥) **Ibid.** p. 101.

١٦) **Ibid,** 30 September, p. 109.

١٧) لقد تناولت هذا الموضوع في بحث «علاقات آل أفراسياب السياسية والتجارية مع القوى الأوروبية في الخليج العربي ١٥٩٦ ــ ١٦٥٠ «تحت الطبع».

١٨) Foster, **The English Factories in India, 1651-54** January, 31 1651, pp. 34-35, 55-58. .

١٩) Foster, **The English Factories in India 1651-54,** April 21, 1651, p. 62.

٢٠) للتفاصيل عن أساليب الهولنديين التجارية انظر:

Foster, **op. cit,** 1651-54, September, 18, 1651, p. 6, July 26, 1652, p. 130.

وقد لاحظ الرحالة الفرنسي تيفنوت الذي زار البصرة في عام ١٦٦٤ ــ ١٦٦٥ استخدام الهولنديين لأساليب أخرى، مثل احراق البضائع المتراكمة لديهم، من أجل عدم التأثير على اسعارها العالية

Monsieur de Thevenot, **The Travels of Monsieur de Thevenot to the Levant,** Part II, Book III (London, 1687, and Republished in West Germany, 1971), 163.

٢١) عن تفاصيل الحرب الهولندية ــ الانكليزية الأولى أنظر: لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ١ ص ٧٩.

٢٢) أنظر عن ذلك رسائل شركة الهند الشرقية في التواريخ التالية:

Foster, **The English Factories in India,** July 26, 1652, p. 130; Ibid, May, 1653, p. 180; Ibid, August 18, 1653, p. 195.

وتشير تقارير الآباء الكرمليين في فارس إلى تمكن الهولنديين عام ١٦٥٣ من السيطرة على أربعة سفن انكليزية وعشرة سفن برتغالية أنظر:

A Chronicle of the **Carmelities in Persia and the Papal Mission of the XVIIth and XVIIIth Centuries** (London, 1939) Vol. 11, p. 1140.

(٢٣ **Ibid.**

(٢٤ Foster, **The English Factories in India, 1655-60,** April, 1656, p. 56.

(٢٥ Bruce, **op. cit.,** Vol. 7, p. 535.

لوريمر، **دليل الخليج، القسم التاريخي.** ج ٤، ص ١٧٧٠.

(٢٦ Foster, **The English Factories in India, 1655-60,** pp. 131-36, Saldanha, op. cit., p. 15.

(٢٧ Foster, **The English Factories in India 1661-64,** 27 March 1661, p. 18.

(٢٨ Ethel Bruce Sainsbury, **A Calender of the Court Minister of the East India Company 1660-63** (Oxford, 1922) p. vii, 44.

(٢٩ Foster, **The English Factories in India 1664-64,** 27 March, 1661, p. 18, 20.

(٣٠ Saldanha, **op. cit.,** p. 17. لوريمر، **دليل الخليج القسم التاريخي.** ج ٤ ص ١٧٧١.

(٣١ Saldanha, **op. cit.,** p. 22; Foster, The English Factories in India, 1661-64, p. 32, 78.

(٣٢ **لمزيد من الأمثلة أنظر: لوريمر، المصدر السابق ج ٤، ص ١٧٧١.**

(٣٣ يوسف رزق الله غنيمة، **تجارة العراق قديماً وحديثاً** (بغداد، ١٩٢٢) ص ٧٤، مرتضى زاده نظمي، كلش خلفا، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس (النجف، ١٩٧١) ص ٢٦٦.

(٣٤ Foster, **The English Factories in India 1661-64,** p. 328.

(٣٥ Foster **op. cit.,** 1665-67, March 1665, pp. 13-4.

ومما يجدر بالملاحظة ان ثيفنوت الذي زار البصرة في عام ١٦٦٤ ــ ١٦٦٥ لم يجد فيها غير السفن الهولندية وبعض السفن العربية أنظر:

Thevenot, **op. cit.,** p. 157.

(٣٦ **A Chronicle of the Carmelities in Persia,** Vol, II, pp. 1155-56.

(٣٧ Foster, **The English Factories in India 1668-69.** (Oxford, 1927), November 1669, p. 200, 204; Abbe Carre, **The Travels of Abbe Carre in India and the Near East 1672-1674** (ed.) by Sir Charles Fawcett (London, 1947), Vol. I, p. 90.

المراجع العربية :

تافرنييه، جون باتيست، **العراق في القرن السابع عشر،** ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد، ١٩٤٤) ص ٨ ــ ٩٧

لوريمر، ج.ج. **دليل الخليج، القسم التاريخي،** (قطر، الدوحة ــ بيروت، لبنان) ج ٤

المراجع الأجنبية :

Bruce, J. **Annals of the Honourable East India Co., 1600-1708** (London, 1810).

Chronicle of Carmelities in Perisa, Vol. II.

Foster, William, **The English Factories in India.**

Saldanha, J.A. **Selections from the State papers.**

المجلة العربية للعلوم الانسانية

المجلدان الاول والثاني

يمكن الحصول على اعداد السنتين الأولى والثانية من المجلة العربية للعلوم الانسانية ضمن مجلد فاخر.

كما يمكن الحصول على الأعداد فرادى وذلك من ادارة المجلة مباشرة وفق السعر التالي:

المجلد الواحد	داخل الكويت	(للافراد) ٤ دنانير
		(للمؤسسات) ١٥ دينارا
	خارج الكويت	(للافراد) ٦ دنانير
		(للمؤسسات) ١٨ دينارا
بدون تجليد	داخل الكويت	(للافراد) ٣ دنانير
		(للمؤسسات) ١٣ دينارا
	خارج الكويت	(للافراد) ٤ دنانير
		(للمؤسسات) ١٦ دينارا